مكانة الدعاة والمصلحين من المتقدمين في تأصيل الدعوة ونشرها

الخلفاء الراشدون نموذجا

إعداد :

علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي

من ١٦٧١ إلى ١٧٢٠

مُلَخَّص البحث

موضوع البحث:" **مكانة الدعاة والمصلحين من المتقدمين في تأصيل الدعوة ونشرها**

الخلفاء الراشدون نموذجا

إن من نعم الله تعالى علينا ؛ أن أورثنا خلافة الأرض, وجعلنا خير أمة أخرجت للناس, وشرع لنا أفضل الشرائع ، وأرسل إلينا أكرم الرسل صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ؛ ليخرجنا من الظلمات إلى النور بإذنه ؛ لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل؛ لأنّ الرسل هم الذين يقودون البشرية للإيمان وإلى بر الأمان ، وحولهم حواريون ورجال اختارهم الله واصطفاهم ينشرون دعوتهم من بعدهم، وفي مقدمة أتباع الأنبياء وحملة رسالاتهم ، تلك الكوكبة التي كانت حول الرسول الكريم فهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين علما وعملا وتصديقا وجهادا ودعوة ، لذلك أثنى الله عليهم ورضي الله عنهم ووعدهم بجنات النعيم، بعد ان وفقهم الله لما يحبه الله ويرضاه فكان في مقدمة هؤلاء الأصحاب الخلفاء الأربعة الراشدون الذين خلفوا النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته وسنته ودعوته ؛ كما سنوضح باختصار في هذه الدراسة فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة ونشروا دين الله في أرجاء المعمورة، فالتأسي بهم رضي الله عنهم والسير على منهجهم هو واجب الوقت الذي حصل فيه كثير من الخلل والتشكيك.

Search summary

Research subject :" Where preachers and reformers of applicants in rooting advocacy and dissemination Adults Caliphs model

That Yes we bequeathed Allah almighty the succession of the Earth, and made the best nation out of people, and we proceeded best canons, sent us messengers Allah bless Ekrem upon him and promising Harbinger calling Allah in his ear and illuminating guide to get us out of darkness into the light with his permission; lest people have an argument after the Apostles, the Apostles The ones who are leading humanity to the faith and to safety, and around dialogue and men picked Allah and chose them spreading their call after them, in the introduction to the followers of the prophets and their dissertations; campaign, that constellation which was about Prophet understand good people after prophets and messengers note pursuant to certification and Jihad and inviting, So praise Allah and Allah bless them and promising prog Bliss, after that they didn't think of Allah Allah loves and which pleases him , was at the forefront of these guys four Caliphs adults who left the Prophet Allah bless him and in his autobiography and his and his call, and we'll explain briefly in this study report message Wadhwa Secretariat and advised the nation and spread Allah's religion across the globe, their pathos Allah bless them and their duty is the time many bugs and questioning.

المقدمة :

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، القائلِ على لسان رسوله الأمـــــين ﷺ : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد ﷺ إمام الدعاة ؛ الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة نصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ورضي الله صحابته الكرام الذين قـــاموا بواجـــب الدعوة إلى الله وفَقِهوها ، فبلّغوا الرسالةَ وأدوا الأمانة ، ونصحوا الأمّة ، وقالوا للناس حسنًا ؛ فحصل الخير والنصر والتمكين ، وتمت العاقبة للمتقين أمـــا بعد :

فإن من نعم الله تعالى علينا ؛ أن أورثنا خلافة الأرض, وجعلنـــا خـــير أمـــة أخرجت للناس, وشرع لنا أفضل الشرائع ، وأرسل إلينا أكرم الرسل صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ؛ ليخرجنا من الظلمـــات إلى النور بإذنه ؛ لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل؛ لأنّ الرسل هـــم الـــذين يقـــودون البشرية للإيمان وإلى بر الأمان ، وحولهم حواريون ورجال اختارهم الله واصـــطفاهم ينشرون دعوتهم من بعدهم، وفي مقدمة أتباع الأنبياء وحملة رسالاتهم ، تلك الكوكبة التي كانت حول الرسول ﷺ فهم خير الناس بعد الأنبياء والمرســـلين علمـــا وعمـــلا وتصديقا وجهادا ودعوة ، لذلك أثنى الله عليهم ورضي الله عنهم ووعـــدهم بجنـــات النعيم، بعد ان وفقهم الله لما يحبه الله ويرضاه ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُـــمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[2]

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٨)

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٠)

فلا مقام بعد النبوة ولا رتبة أعلى وأشرف من مقام ورتبة الصحابة رضي الله عنهم الذين ارتضاهم الله تبارك وتعالى ، اختارهم واصطفاهم لحمل القرآن ، ونشر رسالة الإسلام ، وصحبة ومعاونة خير الأنام نبيا محمد ﷺ فهم أول من سبق إلى الإيمان، وهاجروا وآووا ونصروا وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وأهليهم قال تعالى : ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ ....))[١]

وجاءت النصوص الشرعيّة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ذاكرة لفضلهم موضحة لمكانتهم وأثرهم ، وأهمية التأسي بهم ومتابعتهم ، وجاءت أقوال العلماء في مصنفاتهم وشروحهم مدافعة عن أعراضهم وحمايتها[٢] لأنّهم بطانة الرسول ﷺ وحملة رسالته، خيار الناس وصفوتهم وعدولهم ، المتحملين أمانة الدعوة والتبليغ ؛ فهم خير رجال هذه الأمة من خير قرونها .

وحبهم رضي الله عنهم من جهة عقيدة ودين نتقرب به إلى الله تعالى ؛ كما قال الإمام الطحاوي: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[٣] وهو من جهة أخرى دين علينا في أعناقنا مقابل ما فعلوه من حماية للدين والدعوة ، والثبات عليها ، وحفظ أصولها الشرعية المرعية ، ونشرها وتبليغها ؛ حتى وصلتنا صافية رضية قوية ،

---

(١) سورة الفتح الآية (٢٩)

(٢) ولذلك قرّر كبار علماء السلف الصالح كفر من يتعرض لهم ويطعن فيهم ويكفرهم رضي الله عنهم قال الإمام الذهبي رحمه الله : (فمن طعن في الصحابة أو سبّهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين) انظر كتاب الكبائر للذهبي ص (٢٣٨)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٩/٢)

ولما شرف الله به من فضل الصحبة والجهاد والدعوة معه ﷺ وبعده وفق منهجه وهديه ﷺ ؛ فنشرا الدعوة ونصروا الدين ، ولم يبدلوا ولم يغيروا .

فالتأسي بهم رضي الله عنهم والسير على منهجهم هو واجب الوقت الذي حصل فيه كثير من الخلل والتشكيك ، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[١] وروى أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيضا أنه قال : (إن الله نظر في قلوب العباد، فنظر قلب محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه)[٢] .

وكان في مقدمة هؤلاء الأصحاب الخلفاء الأربعة الراشدون الذين خلفوا النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته وسنته ودعوته ؛ كما سنوضح باختصار في هذه الدراسة فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة ونشروا دين الله في أرجاء المعمورة[٣] .

فلهذه المكانة والخصوصية في التأصيل والتشريع ونشر الدعوة ناسب تخصيصهم بالدراسة والعناية والاهتمام وإبراز ذلك تقديرا لما قاموا به من جهود ولبيان مكانتهم للأجيال خاصة في هذا الزمان الذي بعدت فيه الشقة والمسافة عن سلفنا

---

(١) انظر شرح السفاريني للدرة المضيئة (٢٨/٢)

(٢) المرجع السابق (٢٨/٢)

(٣) قال أيوب السختياني رحمه الله: (من أحب أبابكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد استوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق) انظر الاعتصام للشاطبي (٦٠/١-٦٨)

الصالح ، وظهر وللأسف من أبناء الأمة من يبخسهم حقهم ومكانتهم ، بل تجاوز الأمر عند البعض إلى التعريض بهم والتشكيك في أمانتهم ونقلهم وجهودهم في التأصيل والتشريع وفي الدعوة والتوجيه .

فجاءت هذه المشاركة بعنوان :

مكانة الدعاة والمصلحين من المتقدمين في تأصيل الدعوة ونشرها

الخلفاء الراشدون نموذجا

لتحقيق هدفين مهمين :

- بيان فضل الرعيل الأول من الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وخاصة الخلفاء الراشدون منهم وتأكيد مكانتهم وإظهار قيمتهم وقامتهم ؛ وجهودهم في الدعوة إلى الله تعالى حتى لا ينسى فضلهم وسيرهم مع تعاقب الأجيال خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشبه والشكوك حول القرآن وحملته والسنة ورجالاتها .
- الاستفادة من تراثهم وسنتهم ومنهجهم في الدعوة إلى الله تعالى والترغيب فيه والحث عليه ؛ ليكون معينا صافيا ومصدرا من مصادر الدعاة إلى الله في الدعوة والتوجيه ، يؤصلون به دعوتهم ، ويجددوا ويجددوا معالمها ، ويبرزوا خطواتهم الراشدة في آخر الزمان وفق ما كان عليه سلفهم في أول الزمان ؛ كما قال الإمام مالك رحمه الله : (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)[1]

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٦٢/٢)

الفصل الأول :

في مكانة الدعاة والمصلحين من المتقدمين والمقصود بهم :

المبحث الأول :

مفهوم المتقدمين من الدعاة والمصلحين والمقصود بهم

المبحث الثاني :

مكانة أصحاب القرون المفضلة عموما وأهميتهم في التشريع والتأصيل

المبحث الثالث :

مكانة الصحابة رضي الله عنهم خصوصا وأهميتهم في التشريع والتأصيل

المبحث الأول : مفهوم المتقدمين من الدعاة والمصلحين والمقصود بهم :

المتقدمون هم سلف[١] هذه الأمة الماضي ؛ وهم كل من تقدّم ؛ وهم العصور المفضلة والقرون المشهود لها بالخير ، وعلى رأسهم الجيل المؤسس من الصحابة رضوان الله عنهم ؛ أصحاب السند العالي الذين تلقوا من النبي وتربوا على يده ، وينضم إليهم ويدخل في مسمى (سلفنا المتقدمين) كل من اهتدى بهديهم وعمل بسنتهم ؛ ممن عاشوا في القرون الثلاثة الأولى (القرون المفضلة) بنص كلام الرسول ﷺ ، وتتوسع دائرة المتقدمين وتضيق بحسب الدراسة فمن الباحثين من يقصر سلفنا المتقدمين على (الصحابة فقط) ومنهم من يوسع الفترة ليدخل معهم كل من تبعهم من أصحاب (القرون الثلاثة الأولى) ومنهم من يعمم سلفنا المتقدمين على كل من سبق ومات وهو على المنهج القويم ، حتى لو جاء بعد القرون المفضلة ، حتى لو عاش في العصر الحديث ، لأنّ كل سابق هو سلفٌ لخلفٍ ، وعليه ليس هناك تحديد زمني بعينه للمتقدمين فكل من سبقنا هو متقدم علينا ، وللباحثين اعتبارات في تحديد المقصود بالمتقدمين والمتأخرين ؛ بين التضييق والتوسيع ومن أبرز ما وقفت عليه مما يَسندهُ الدليل ماذهب إليه الإمام الذهبي رحمه الله ؛ من أنّ المتقدمين هم أصحاب القرون المفضّلة الثّلاثة الأولى والذين عاشوا في (الثلاثمائة سنة الأولى) ، وأمّا المتأخرون فهم من جاءوا بعد ذلك ؛ من أول القرن الرابع الهجري إلى يومنا هذا ، فالمعيار الذي يميز

---

(١) يقول فضيلة الشيخ عبد الله بن حبرين : (اصطلح العلماء على أن السلف هم أهل القرون المفضلة الثلاثة ويسمون السلف في الاصطلاح ، ومن بعدهم يسمون الخَلَف إذا كانوا على الإسلام ، أما المغيرون والمنحرفون فيقال لهم: خَلْف ؛ يعني: خَالِفٌ بسوء ، فالخَلَف معهم إيمان ولكن هم أنقص من السلف ، والخَلْف: خَلْفُ سوء) من محاضرة له بعنوان : (السلف الصالح بين العلم والإيمان) انظر موقعه على الشبكة العالمية (الانترنت) .

بين المتقدّم والمتأخّر في هذا القول هو المعيار الزمني وهو رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة النبويّة [٢] .

وتشمل الحقبة التاريخية للمتقدمين قائمة كبيرة من أهل العلم والفضل وأئمة الدعوة والتوجيه ؛ الذين لهم السابقة في التأصيل والتدوين ، وحمل الرسالة بعد فترة النبوة والحكم الراشديّ ، ومن أبرز أولئك ؛ بل على رأسهم ؛ الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم بإحسان ؛ وفي جيل التابعين برز كثير من العلماء والأئمة ، كالفقهاء السبعة، ومن المتقدمين الخلفاء العدول وعلى رأسهم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكذلك الفقهاء الأربعة الذين تلقت الأمة أقوالهم بالرضى وكتب الله لمذاهبهم القبول .

والمتقدمون وعلى رأسهم صحابة النبي ﷺ ومن تبعهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة الأولى لهم الصدارة في الأقوال والأفعال ، والأولويّة في الغالب تكون للمتقدمين ، لأنّ المتقدم في السبق ، أو في العمر ، أو في المكان والمكانة ؛ هو الأقدر في الغالب لمكانته ولقربه من وقت التنزيل ، ولذلك فالأصل تقديم قول المتقدّم على المتأخّر[١] فكيف إذا كان المتقدم هم أصحاب الرسول ﷺ وكتبةُ الوحي ، وأعرف الناس بالحلال والحرام ، الذين شهدوا عصر التنزيل ، وأدركوا مقاصد الشريعة ، وأسرار العربية ، مع ما عرف عنهم من الاجتهاد في العلم والعبادة ؛ كلّ ذلك وغيره ؛

---

(٢) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي (١/٤)

(١)) هذا على الأصل ، وإلا أنّ فإنّ ذلك لايمنع ؛ أن يكون الحق أحياناً حليف المتأخر ، ويستدرك على المتقدم ، أو يصحح له أمرا ، أو يتممه له ، ولقد خفيت على المتقدمين أمور استطاع من بعدهم الوصول إليها ؛ والفقه في الدين وتأصيل الدعوة ونشرها ؛ فضلٌ من الله تعالى يؤتيه من يشاء ؛ لايتأثر بكونه رأي لمتقدمٍ أو متأخر ، فالعبرة فيه بالتأصيل الشرعي ، والمنهج السويّ ، ويبقى للمتقدم المزيّة لتفوقه في هذا الجانب ، وقُربه من زمن التشريع ، ونحو ذلك وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم تحت عنوان : (مكانة أصحاب القرون المفضلة وأهميتهم في التشريع والتأصيل) أما الخلفاء الراشدون محل الدراسة والبحث فلهم خصوصيتهم وسبقهم ومكانتهم التي تقدمهم دائما على غيرهم فقد قدمهم الله تعالى ، وقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمهم واقع الحال .

يجعل لهم الصدارة في تأصيل الدعوة إلى الله تعالى ، والتي كانوا رجالها ، وقاموا بها خير قيام ، فبلغوها وأقاموا الحجة على العالمين ، فأقوالهم بعد كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هي الخيار المُقدّم .

المبحث الثاني : مكانة أصحاب القرون المفضلة وأهميتهم في التشريع والتأصيل :

لا يخفى ما لهذه القرون المفضلة الأولى الثلاثة من الأهميّة والخصوصيّة ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة الصريحة الدالة على خيريتهم ومكانتهم دون غيرهم ومنها : حديث عمران بن الحصين ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال : ((خير أمّتي قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم)) قال: [راوي الحديث: لا أدري ، أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة] ، ثم إنّ بعدكم قوما يشهدون ولا يُستشهدون ، ويخونون ولا يأتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن)) ، وفي رواية عن عبد الله بن عمر ﷺ قوله ﷺ: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته))[١] ومن هذه الأحاديث وغيرها تتبيّن مكانة وفضل السلف المتقدمين ، واعتبارهم مصدر أصيل للتشريع ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله : (هذه القرون الثلاثة ؛ أفضل مما بعدها إلى يوم القيامة، وهذه القرون في أنفسها متفاضلة ، فأفضلها الأول،ثم الذي بعده، ثم الذي بعده)[٢]

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل من صحب النبي أو رآه ... برقم (٣٦٥١) (٢٢٩/٤)

(٢) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤٨٦/٦) ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق

ولذلك فالأصل تقديم المتقدمين من أصحاب القرون المفضّلة ، لأنّ خيريتهم منصوصٌ عليها ، وهم أعلم ، وعلمهم أوثق ، ، لاكما يدّعي البعض من أنّ المتأخرين أوسع علما ومعرفة ، وقد جمعوا ما عند الأولين ، وكم ترك الأوَّل للآخر ، ولقد حسم الإمام الذهبي رحمه الله تعالى ما قد يتوهمه البعض من طمع المتأخرين في أن يسبقوا المتقدمين فيقول: (جزمتُ بأنَّ المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة)[٣]

وبيان مكانة المتقدمين وتقديرهم ، وتقديم أقوالهم وأفعالهم على المتأخرين ؛ ليس دعوة للتبعية والتقليد ، وليس تفتيرا عن بذل العلم وطلبه ، بل هي دعوة لتقديم من قدّم الله تعالى ، وتقدير أصحاب السابقة ، ووضع الأمور في موضعها بالعدل ، كما أنّ فيها دعوة أصيلة للشرعيّة ، والاتباع لا الابتداع ، ومعرفة فضل علم السلف على علم الخلف ، وعدم التعدي على الغير ، وأن يقف الإنسان عند حدّه ؛ كما قرّر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وانتهى إليه بقوله : (ومَنْ آتاه الله علما وإيمانا ؛ عَلِمَ أنّه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق ؛ إلا ما هو دونَ تحقيقِ السلف ؛ لا في العلم ، ولا في العمل)[١]

وعلى رأس المتقدمين صحابة الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان ؛ يقول الإمام الشافعيّ رحمه الله تعالى ؛ مؤكدا مكانة المتقدمين من الصحابة الكرام ، ومن تبعهم بإحسان وأنّهم مصدر للتشريع ، وهم الذين يؤخذ عنهم ، ويُقتدى بهم ويُتبعون ، فيقول: (ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن الرسول ﷺ إلا قُبل خبره وانتهى إليه وأُثبتَ ذلك سنةً ... وصنع ذلك الذين بعد التابعين ، والذين لقيناهم كلّهم يثبت الأخبار ويجعلها سنّة ، يُحمد من تبعها ويُعاب من خالفها ، فمن فارق هذا

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ، للذهبي (٩٤٧/٣)

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤٣٦/٧)

المذهب ؛ كان عندنا مفارق سبيل أصحاب الرسول ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم ، وكان من أهل الجهالة)[٢] .

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى مؤكدا السبْق للمتقدمين بقوله : (فأعمال المتقدمين في إصلاح دنياهم ودينهم ؛ على خلاف المتأخرين ، وعلومهم في التحقيق أقعد ، فتَحقُّق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقُّق التابعين ، والتابعون ليسوا كتابعيهم ، وهكذا إلى الآن ، ومن طالع سِيَرهم وأقوالهم وحكاياتهم ؛ أبصر العجب في هذا المعنى)[٣] وقد عَقَد الإمام ابن القيم رحمه الله فصلاً نفيساً وفيه : (فصل في جواز الفتوى بالآثار السلفية والفتاوي الصحابية وإنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم وأن قربها الى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر الرسول ﷺ وأنّ فتاوي الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوي التابعين وفتاوي التابعين أولى من فتاوي تابعي التابعين وهلم جرا وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب ... وهكذا الصواب في أقوالهم أكثر من الصواب في أقوال من بعدهم فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين..)[٤]

وهذه القرون المفضلة شملت الأجيال المثالية والتي لها الأولوية ، والسابقة في العلم والفقه في الدين ، والمتمثلة في جيل الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين لهم ؛ الذين تتلمذوا عليهم ، وعاشوا في القرن الذي عاش فيه النبي ﷺ ، ثم برز بعدهم ومن تلامذتهم كثير من العلماء العاملين ، والأئمة المتبوعين كالفقهاء السبعة[١] والأئمة

---

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ص (٢٠) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ

(٣) الموافقات ، للشاطبي (٩٧/١)

(٤) إعلام الموقعين ، لابن القيم (١١٨/٤)

(١) وهؤلاء الفقهاء السبعة ؛ حسب ترتيب وفياتهم هم: عروة بن الزبير (**٩٤هـ**) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (**٩٤هـ**) وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث (**٩٤هـ**) وخارجة بن زيد (**١٠٠هـ**) وسعيد بن المسيّب (**١٠٥هـ**) والقاسم بن محمد بن أبي بكر (**١٠٦هـ**) وسليمان ابن يسار (**١٠٧هـ**) وهم من التابعين وتابعيهم الذين كانوا حلقة مباركة بين عصر الصحابة ، وعصر التدوين وأئمة المذاهب ، وللتوسع

الأربعة[٢] وغيرهم الكثير من سلف هذه الأمة ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتابَ والسنة وما اتفق عليه أهلُ السنةِ والجماعة من جميعِ الطوائف أنّ خيرَ قرونِ هذه الأمة في الأعمالِ والأقوالِ والاعتقاد وغيرها من كل فضيلةٍ ؛ القرنُ الأولُ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غيرِ وجه ، وأنهم أفضلُ من الخَلَفِ في كل فضيلةٍ من علمٍ وعملٍ وإيمان وعقلٍ ودينٍ وبيان وعبادة ، وأنهم أولى بالبيانِ لكل مُشْكلٍ ، هذا لا يدفعُه إلاّ من كابرَ المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علمٍ ... وما أحسن ما قاله الشافعي رحمه الله في رسالته : " هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل ، وكل سبب ينال به علم ، أو يدرك به هدى ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا "...)[٣]

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى : (وقد ابتلينا بجَهَلةٍ من النّاس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين ... وهذا تنقص عظيم بالسلف

انظر تاريخ التشريع الإسلامي والفقه ، د.مناع القطان ص(٣٠١) ومابعدها ط٣ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٢هـ

(٢) وهؤلاء الأئمة ؛ هم أصحاب المذاهب المشهورة ، وكان أولهم ظهورا الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله (**١٥٠هـ**) ثم الإمام مالك بن أنس رحمه الله (**١٧٩هـ**) ثم الإمام الشافعي رحمه الله (**٢٠٤هـ**) ثم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (**٢٤١ هـ**) ، وقد كتب الله تعالى لهم القبول ، وجعلهم شامة بارزة في العلم والعمل ؛ في تلك الفترة ، وتتلمذوا على بعضهم ، وتكاملت جهودهم وعلومهم ؛ ليكونوا حلقة مباركة لمن قبلهم ، وانطلاقة لمن بعدهم ؛ فأبو حنيفة فقيه الفقهاء ، ومالك فقيه المحدثين ، والشافعي فقيه المحدثين والفقهاء ، وأحمد بن حنبل محدث الفقهاء ؛ فكلّ واحد منهم برز في جانب من العلم وأسهم فيه ، واستفاد الأوّل من الآخر واللاحق من السابق ؛ فتكاملت جهودهم ، وتواصلت أجيال تلاميذهم ؛ ليصلنا خيرهم ، ويبقى علمهم رحمٌ بيننا وبينهم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فرضيّ الله تعالى عنهم أوفر الرضى ، وجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء .

(٣) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٥٧/٤) .

الصالح وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم ... فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلاّ وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة ، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلاّ وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله ، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به ، فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعةً لمن تأخر عنهم)[1]

فأصحاب القرون المفضلة الثلاثة وبالأخص صحابة الرسول ﷺ ومن تبعهم بإحسان ، هم مصدر مهم ، ومنبع صافي يستقي منه الداعية معالم دعوته ، ويؤصل لها ؛ بالرجوع إليهم والالتزام بمنهجهم والتمسك بسنتهم ففي ذلك طوق النجاة ، وخاصة في زمن الغربة والفرقة ، وانتشار لجهل ، والبعد من عهد النبوة ومشكاتها ، فكان الرجوع لهم معلما مهما وضمانا قويا لحماية الدعوة والداعية ، وإظهارا جليا لأهميتهم في التشريع والتأصيل .

(١) بيان فضل علم السلف على علم للخلف ، لابن رجب ص(٦١) ومابعدها ، ط١ ، دار البشائر ، بيروت ١٩٩٥م

المبحث الثالث: مكانة الصحابة رضي الله عنهم وأهميتهم في التشريع والتأصيل :

(أ) المقصود بالصحابة رضي الله عنهم :

– في اللغة[١] : الصحابة جمع صحابي ؛ مشتق من الصحبة ، واستصحبه دعاه إلى الصحبة ولازمه ، ويجمع على صحابة وأصحاب وأصاحيب ، والصاحب هو المعاشر ، وأصْحَبْتُهُ الشيء : جعلته له صاحباً ، واستصحبته الكتاب وغيره ، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه ، ويطلق الصاحب ؛ على كل من حصلت له رؤية ومجالسة .

– في الاصطلاح : فقد اختلفت عبارات أهل العلم وتنوعت في المقصود بالصحابة ومن أبرزها وأشملها قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنّ : (أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه)[٢] ، واعتبار الصحبة بالمصاحبة أو الرؤية ؛ حتى لو لساعة من نهار هو قول الجمهور من أهل العلم رحمهم الله[٣] ، ويؤيدهم كلام أهل اللغة ، فلا خلاف بينهم ؛ أنّ الصحابي (مشتق من الصحبة ؛ وهو جار على كلّ من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً ... يقال : صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعةً ،

---

(١) انظر تاج العروس فصل الصاد من باب الباء (٣٣٢/١) ، ولسان العرب لابن منظور مادة (صحب) (٢٨٦/٧) والمعجم الوسيط (٥٠٧/١) ، والتعريفات للجرجاني (١٧٣) .

(٢) الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ص (٥١) ، طبعة المكتبة العلمية ، المدينة المنورة بدون

(٣) وقد جمع الحافظ العلائي رحمه الله أقوال العلماء في تعريف الصحابي ومايثبت به اسم الصحبة فبلغت ستة أقوال ورجح قول الجمهور ، وقال فيه أنّ الصحابي هو : (كل مسلم رآه النبي ﷺ ولو لحظة ، وعقل منه شيئا ، فهو صحابي سواء كان ذلك قليلا أو كثيرا) انظر كتابه : تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ، للحافظ العلائي ص (٣٠) ، تحقيق د. محمد سليمان الأشقر ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩١م

فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره ، وذلك يوجب إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار)[٤] .

وقد ذهب آخرون إلى تضييق مفهوم الصحبة ؛ وذكروا اصطلاحا آخر[١] ، والصحيح ماذهب إليه جمهور أهل العلم ، وعلى رأسهم أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله تعالى حيث يقول : (من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) وقد شرح تعريفه هذا وبيّن مراده منه ، شارح صحيحه ؛ الحافظ ابن حجر فقال: (الصحابيّ : كل من لقيَ النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام) وقال شارحا للتعريف : (فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى ، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى وقولنا : (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة ، ويدخل في قولنا : (مؤمناً به) كل مكلف من الجن والإنس ... وخرج بقولنا : (مات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به ثم ارتدّ ومات على ردته والعياذ بالله ... ويدخل فيه من ارتدّ وعاد إلى الإسلام ، قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى ، أم لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد)[٢] .

---

(٤) الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ص (٥١)

(١) منهم سعيد بن المسيب رحمه الله حيث يقول : (الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين) ، وكذلك القاضي الباقلاني رحمه الله إذ يقول : (إن الصحبة لا يوصف بها إلا من كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجري هذا لوصف على من لقي النبي ساعة ومشى معه خطو أو سمع منه حديثا) وهذا الاصطلاح الذي فيه تضييق لمعنى الصحبة تعقّبه الإمام ابن حجر بقوله : (والعمل على خلاف هذا القول ؛ لأنهم اتفقوا على عد جمع جم من الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع) انظر فتح الباري (٥/٧) والكفاية في علم الرواية (٧٠/٦٩) ، ومقدمة ابن الصلاح ص (١٤٦) طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ

(٢) انظر فتح الباري ، لابن حجر (٣/٧)

والصحابة بهذا المفهوم ووفق هذا الاصطلاح هم المقصودون بالحديث هنا ، فهم على رأس المتقدمين ، وهم سلف الأمة الذين يتبعون ويقتدى بهم ، وهم المقصودون بالمكانة والتقدير والحفاوة كما في كتب العقائد ، ونحن : (ونحب أصحاب رسول ﷺ و لا نُفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم ، وبغير الحق يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[٣]

(ب) مكانة الصحابة وأهميتهم في التشريع والتأصيل :

الصحابة رضي الله عنهم هم أولئك الجيل الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم وجعلهم حملة الرسالة وحرّاسها ، وأثنى عليهم في القرآن الكريم والسنّة النبويّة ، ولذلك (فمن كان مستنًا فليستن بمن قد مات ؛ فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة وأبرَّها قلوبا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)[١] ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا فضلهم ومكانتهم ؛ هم: (أفقه الأمّة ، وأبرهم قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا...شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ فنسبة آرائهم وعلومِهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسولُ ﷺ كنسبتهم إلى صحبته)[٢]

وقد عرّج على مكانة الصحابة وسنتهم وكونها دليل شرعي مقدّم بعد هدي النبي ﷺ الإمام الشاطبي رحمه الله في تعالى ؛ حيث يقول : (السلف أعلم الناس

---

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (٦٨٩/٢)

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن القيم ص (٨٥) ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

(٢) إعلام الموقعين ، لابن القيم (٨١/١)

بمقاصد القرآن , والصحابة : هم القدوة في فهم الشريعة ، والجري على مقاصدها)[٣] وقد قرّر الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى ؛ أنّ أقوال الصحابة ، وأفعالهم واجتهاداتهم ، وماكانوا عليه ؛ كلّ ذلك معتبرٌ ، وينبغي الاقتداء به ، والصدور عنه ؛ فهو بمنزلة السنة[٤] وقال بوضوح وبتفصيل في كتابه الموافقات : (سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ، ويرجع إليها ، ومن الدليل على ذلك أمور ...) ثم ذكر أربعة أدلة على اعتبار سنتهم[٥] .

ومما يدل على مكانتهم وأهميتهم في التأصيل :

(١) النصوص الشرعيّة الواردة في مكانتهم وفضلهم :

فلقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة التي تدل صراحة أو ضمنا على مكانة الصحابة وأهميتهم خاصة في التشريع والدين ومن أدلّ تلك الآيات قوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[١] وهذه الآية وغيرها احتجّ بها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة , وذكر أنّ هذه الآية تضمنت ؛ مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدي بهم ، وتؤخذ أقوالهم ، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم كلهم ، أو اتبع كل واحد منهم ما لم يخالف

---

(٣) الموافقات ، للشاطبي (٤٠٩/٣)

(٤) ومما قاله عند شرحه لقوله ﷺ : ((ما أنا عليه وأصحابي)) : (فإنه راجع إلى ما قالوه وماسنوه ، وما اجتهدوا فيه حجةٌ على الإطلاق ، وبشهادة الرسول ﷺ لهم بذلك خصوصًا ... لأنهم المتقلدون لكلام النبوة ، المهتدون للشريعة ، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشافهة على علم وبصيرة ؛ بمواطن التشريع ، وقرائن الأحوال بخلاف غيرهم ؛ فإذاً كل ما سنوه فهو سنة ؛ من غير نظير فيه بخلاف غيرهم) انظر كتابه: الاعتصام (٤٧٩/١)

(٥) انظر الموافقات ، للشاطبي (٧٤/٤)

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠)

نصًا ، وقد أفاض وأجاد رحمه الله في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات القرآنية ووجوه الاستدلال بها على ذلك[٢] .

والأحاديث النبويّة الواردة في فضلهم وكانتهم أكثر من أن تُحصر ، فلقد أفردت كتب السنة أبوابا وكتبا في فضائل آحادهم ؛ فضلا عن الجميع ؛ فهم خير الناس ، وقرنهم خير القرون ، ولّما سؤل ﷺ أيُّ الناس خير ؟ أجاب ﷺ : ((القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ثم الثالث))[٣] فهم أصحاب السبق والخير المطلق ، ومما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أنّ النبي ﷺ : ((ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ...))[٤] ونصوص القرآن والسنة جاءت للثناء على المؤمنين وتزكيتهم وذكر مناقبهم ومكانتهم ، وتقديمهم في الدنيا والآخرة ؛ وأصحاب النبي ﷺ هم على رأس قائمة المؤمنين بالله عزّ وجلّ ، ورسوله ﷺ ؛ بل هم أوّل المؤمنين وأعظمهم إيمانا ، بذلوا أوقاتهم وأرواحهم ؛ ترجمة للقرآن والسنة ، وبيانا لهما ، ودعوة إليهما .

(٢) أقوال أهل العلم الواردة في مكانتهم وأهميتهم في التأصيل :

يقول أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : (سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله ، وقوّة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، ومن اهتدى بها فهو المهتدي ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها اتّبع غير سبيل المؤمنين ، وولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنّم وساءت مصيراً)[١] وقال الإمام أحمد بن

(٢) انظر إعلام الموقعين ، لابن القيم (١٢٣/٤)

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ... برقم (٢٥٣٦) (١٩٦٥/٢)

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ... برقم (٥٠) ، (٦٩/١)

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي (٩٤/١) تحقيق د.أحمد سعد حمدان ، دار طيبة الرياض

حنبل رحمه الله : (ومن الحجة الواضحة البيّنة المعروفة ؛ ذكر محاسن أصحاب الرسول ﷺ كلهم أجمعين ، والكفّ عن ذكر مساوئهم ، والخلاف الذي شجر بينهم ، فمن سبّ أصحاب الرسول ﷺ أو أحدًا منهم ، أو تنقصه ، أو طعن عليهم ، أو عرَّض بعيبهم ، أو عاب أحدًا منهم ، فهو مبتدع رافضيّ خبيث ، مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا ، بل حبهم سنة ، والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وأصحاب الرسول ﷺ خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص)[٢]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عامّاً إلاّ لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلاّ للصّحابة، فإنّ الهدي يدور مع الرّسول حيث دار، ويدور مع أصحابه حيث داروا)[٣] ، ثمّ إنّ ماحصل بينهم لايجرح في مكانتهم وعدالتهم فـــ (الأمة المسلمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، إحسانًا بهم ، ونظرًا إلى ما تمهّد لهم من المآثر ، وكأن الله أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة ، والله أعلم)[٤]

(٣) اعتبار أقوالهم وحجيتها :

لقد تحدث العلماء عن مذهب الصحابي ، واعتبروه من الأدلة المختلف فيها ، وحكى الإمام ابن القيم رحمه الله إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به ، ولقد تنوعت[١] مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي واعتباره ، واختلفوا فيه ذلك على خمسة أقوال مشهورة[٢] :

---

(٢) انظر السنة ، لعبدالله بن أحمد بن حنبل ص (٧٨) ، دار الكتب العلمية ، بيروت بدون

(٣) منهاج السنة ، لابن تيمية (٢٦١/٥)

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص (١٧١)

(١) ورغم هذا التنوع فلقد اتفقوا على حالات معينة ليست محل نزاع ولا خلاف ذكرها الدكتور محمد سعد اليوبي في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) ص (٥٩٧) وهي كما يلي :

١- أنه حجة وهو قول مالك والشافعي في القديم ، وأحمد في رواية ، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء وهو اختيار الأئمة: ابن تيمية وابن القيم والشاطبي وابن عقيل وغيرهم

٢- إنه ليس بحجة وهو قول الشافعي وأحمد في رواية ، واختاره الرازي والغزالي

٣- إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف

٤- قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حجة دون غيرهما

٥- قول الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم حجة دون غيرهم

والراجح والله أعلم ؛ القول الأول الذي عليه جماهير أهل العلم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومن قال من العلماء إن قول الصحابي حجة ، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ، ولا عرف نصًا يخالفه ، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه كان إقرارًا على القول ، فقد يقال هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه ، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل , أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق)[٣] .

(٤) صلتهم المباشرة بالنبي ﷺ وأخذهم عنه :

- اتفقوا على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة
- اتفقوا على أنّ الصحابي إذا قال قولاً ووافقه الباقون فليس داخلاً في محل ، بل هذا هو عين الإجماع
- اتفقوا على أنّ الصحابي إذا قال قولاً وانتشر و لم يخالفه أحد فهذا له حكم الإجماع السكوتي
- اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر
- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإنه الحجة حينئذ فيما رجع إليه.
- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة

(٢) انظر إعلام الموقعين ، لابن القيم (١٢٠/٤) ، ومقاصد الشريعة الإسلامية ، د. محمد سعد اليوبي .

(٣) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٢٨٣/١)

فلقد شرفهم الله تعالىالصحابة الكرام ، عليهم من الله الرضـــوان ؛ ببهـــذه الصلة ، وبهذا القرب من الرسول ﷺ فكان من فوائد هذه الصلة المباشرة مايلـــــي :

– علو سندهم بالنبي ﷺ : إذ بتلقيهم من النبي ﷺ يتلقون الوحي غضًّا كما أنزل، ليس بينهم والسماء إلا الصادق المصدوق فيسمعون الوحي مباشرة منه .

– قدرة معلمهم ودقّة فهمهم : حيث إن معلمهم ﷺ أفصح الناس لســـانا ، وأبلغهم بيانًا ، وأقدرهم تفهيمًا ، فكيف إذا صادف آذانًا صاغية، وقلوبًـــا واعيـــة، وفطرا سليمة تريد الحقّ وتهفو إليه ، فتكون النتيجة تمام الفهم ودقة الفقه ، فعلمهـــم بهذا شبه يقيني

– خصوصية مخالطتهم ومعاصرتهم : حيث يباشرون بأنفسهم أسباب النزول والورود ، ويعاينون ذلك ليحصل لهم تمام الفهم ، كما أنّ الخلطة والمعاصـــرة بـــاب مشرع لإتمام الفائدة وترسيخها وإزالة أيّ لبس قد يطرأ عليها وذلـــك مـــن خـــلال السؤال والجواب

بالإضافة إلى ما أكرمهم الله تعالى به من إخلاص وتقوي وصلاح للبـــاطن ، وفصاحة وسليقة عربية ، يفهمون من خلالها الوحي ، يقول الإمام ابن القيّم رحمـــه الله في ذلكـــــ : (أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة ؛ فـــلا ريب أنهم كانوا أبرّ قلوبًا ، وأعمق علمًا ، وأقل تكلفًا ، وأقرب إلى أن يوفّقوا فيما لم نوفق له نحن ، ولما خصّهم الله تعالى به من توقّد الأذهان ، وفصاحة اللسان ، وســـعة العلم ، وسهولة الأخذ ، وحسن الإدراك وسرعته ، وقلة المعارض أو عدمه ، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى ، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم ، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ...)[1] .

ومن خلال هذه الجوانب وغيرها تتبين مكانة الصحابة رضـــوان الله علـــيهم وفضلهم وأهميتهم في التأصيل والتشريع ، ولذلك لزمنا السير على منهجهم واقتفـــاء

(١) إعلام الموقعين ، لابن القيم (١٤٩/٤)

أثرهم واعتبار أقوالهم وأفعالهم من خلال تلك الفترة المباركة التي زكاها رسول الله ﷺ وزكّا أهلها ، والتي لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، رضي الله عنـــهم وأرضاهم .

الفصل الثاني:

في مكانة الخلفاء الراشدين وأهميتهم في تأصيل الدعوة ونشرها :

المبحث الأول:

المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم وخصوصية بعضهم

المبحث الثاني:

في منزلة الخلفاء الراشدين في التشريع وأهميتهم في تأصيل الدعوة ونشرها

المبحث الثالث :

نبذة مختصرة عن الخلفاء الراشدين وسيرتهم العطرة

المبحث الأول: المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم وخصوصية بعضهم:

ومن سنن الله تعالى الكونية ، ومن الأمور البدهية ؛ التفاوت والتفاضل فلقد مضت سنة الله تعالى أن يكون هناك الفاضل المفضول ، وهناك المهم والأهم ، وهناك الحسن والأحسن ، وقد بيَّن القرآن الكريم أنّ الناس ليسوا متساوين في منازلهم ، وإن كانوا متساوين في إنسانيتهم وفي أصل الخِلْقة كما قال تعالى : ((يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))[١]

وهكذا نجد أن الناس يتفاوتون ويتفاضلون[٢] ولكن تفاضلهم إنما هو بالعلم والعمل والتقوى ونحوها ، فأكرم المخلوقات وأفضلها هو الإنسان، قال تعالى : ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))[٣] فخير البشر جميعا هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وهم يتفاوتون فيما بينهم ؛ فبعضهم أفضل من بعض قال تعالى : ((تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ...))[٤] وأفضل الرسل هو نبينا محمد ﷺ ؛ رغم أنه آخرهم ، فلقد قال ﷺ مبيّنا ذلك بقوله : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأوّل من

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣)

(٢) والتفاوت والتفاضل شامل عام بين جميع المخلوقات والموجودات ، فهو كما يقع بين البشر فإنّه يشمل أيضا أيضا غير البشر ، من الملائكة والجنّ والجمادات والعلوم والمعارف والبلدان والأزمان (فلقد خلق الله السماوات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقرّ المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من كرسيّه ومن عرشه وأسكنها من شاء من خلقه فلها مزيّة وفضلٌ على سائر السموات ولو لم يكن إلا قربها منه تبارك وتعالى ، ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل) زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم (٤٣/١) ،

(٣) سورة الإسراء الآية (٧٠)

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٣)

ينشق عنه القبر ، وأوّل شافع ، وأوّل مشفع))[٥] وأصرح منه قوله ﷺ: ((فُضّلت على الأنبياء بستّ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرّعب ، وأحلّت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافّة ، وختم بي النبيّون))[٦]

فمع إثبات الفضل والمكانة لجميع الصحابة رضي الله تعالى عليهم ، ولزوم الترضي عليهم جميعا بلا استثناء ، واثبات كونهم جميعا عدول ، وكلهم ذوو فضل وكرامة، ولا يبلغ مستواهم أحد من الفضلاء والعباد، والصالحين في هذه الأمة ؛ لأن شرف الصحبة لا يناله أحد ورضى الله تعالى عنهم شهادة الحق التي لا تزول ، ومع ذلك فليس الصحابة كلهم في درجة واحدة في الفضل، بل يفضل بعضهم بعضًا، وقد جاء ذلك واضحا في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، ففي قوله تعالى : ((لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))[١] تفضيل واضح لطائفة من الصحابة على أخرى وكلاً وعد الله الحسنى ، فـــ (المفاضلة بين الصحابة) وهم من أفضل البشر في هذه الأمة المحمديّة مقرر ومعتبر ؛ فمنهم الشيخان : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، وهما أيضا يتفاضلان فأبوبكر ﷺ صاحب السابقة ، والصاحب قبل البعثة وبعدها ، ولو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه ، وهو ثاني اثنين كما قال الله تعالى عنه : ((إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ...))[٢] ، ومن الصحابة الكرام الخلفاء الراشدون ، والأئمة المهديون الذين وصّى النبي ﷺ بالالتزام هديهم ، ومنهم السابقون الأولون ، ومنهم أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ

---

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، برقم (٢٢٧٨) ، (١٧٨٢/٤)

(٦) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة ، برقم (٥٢٣) ، (٣٧١/١) ،

(١) سورة الحديد الآية (١٠)

(٢) سورة التوبة الآية (٤٠)

، ومنهم أهل بدر الذين اطلع الله عليهم وقال لهم : افعلوا ماشئتم لحسن صنيعهم في ذلك اليوم ، ومنهم من حضر العقبة ومنهم من بايع تحت الشجرة ، ومنهم المهاجرون والأنصار ، ومنهم أهل الصفة ، فرغم الاتفاق على فضلهم ومكانتهم وماخصهم الله به ؛ إلا أنهم وفيما بينهم يتفاوتون تفاوتا بينا وهذه سنة ماضية ، وعلى هذا الأساس قسمهم العلماء إلى طبقات، و وزعهم ابن حبان والحاكم في اثنتي عشرة طبقة، جاءت على النحو التالي :

١ – من تقدم إسلامه بمكة.

٢ – أصحاب دار الندوة، وذلك أن عمر بن الخطاب لما أسلم وأظهر إسلامه حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار الندوة، فبايعه جماعة من أهل مكة.

٣ – المهاجرة إلى الحبشة .

٤ – أصحاب بيعة العقبة الأولى، ويقال: فلان عقبي.

٥ – أصحاب بيعة العقبة الثانية.، وأكثرهم من الأنصار.

٦ – المهاجرون الذين وصلوا للرسول صلى الله عليه وسلم بقباء قبل دخوله المدينة، وقبل بناء المسجد

٧ – أهل بدر.

٨ – المهاجرون بين بدر والحديبية .

٩ – أهل بيعة الرضوان .

١٠ – المهاجرون بين الحديبية وفتح مكة .

١١ – مسلمة الفتح.

١٢ – من جاءه صلى الله عليه وسلم بعد الفتح من القبائل والأعراب، ويدخل فيهم الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وغيرها [١]

وهذا التفاوت والتفاضل بينهم يقدر بقدره ويرتب بحسبه إن حصل التعارض والتزاحم وإلا فلكل واحد منهم حقٌ معلوم ، ومكانة وفضل مقدر[٢]

(١) انظر معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ص (٢٢)

(٢) ولكل واحد منهم خصوصية وميزة مقدّرة ، قد لا تكون في غيره ، فمنهم الأقرأ للقرآن ، والأفقه في الأحكام ، والأقضى في الميدان ، والأعلم بالحلال والحرام والأقدر على حمل السنان ، والأبرع في الشعر والبيان ، فأرحم الأمة بالأمة أبو بكر ﷺ ، وأشدهم في دين الله عمر ﷺ , وأصدقهم حياءً عثمان ﷺ ، وأقضاهم علي بن أبي طالب ﷺ ، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب ﷺ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ﷺ ، وأفرضهم زيد بن ثابت ﷺ , وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجرّاح ﷺ ، وكاتم سرّ رسولها ﷺ حذيفه بن اليمان ﷺ وهكذا ، فلكل واحد منهم مكانته التي لاتقلل من قدر الآخر ، ومنزلته التي وضعه الله تعالى فيها .

المبحث الثاني: في منزلة الخلفاء الراشدين الأربعة في التشريع وأهميتهم في تأصيل الدعوة ونشرها :

بمبايعة المسلمين يوم السقيفة ؛ لأبي بكر الصديق ﷺ بالخلافة ، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الأمة ، وتولى أمر الأمة أعلام مباركون ؛ تعاقبوا على القيام بأمرها ، والتشريع لكلّ ما يستجدّ في حياتها ، وعُرفت هذه الفترة الزمنية المباركة بالخلافة الراشدة ، وتولى الأمر فيها أربعة من كبار الصحابة وأجلائهم عرفوا بـــ (الخلفاء الراشدين)[1] وهم الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وهم يختلفون عن كلّ الصحابة والقرابة ؛ لخصوصيتهم في التشريع والنصّ عليهم ، ولذلك ناسب أن يكونوا النموذج في هذه الدراسة دون بقية الصحابة والقرابة ، لنشير إشارة سريعة إلى مكانتهم وقيمتهم وأهميتهم في تأصيل الدعوة ونشرها .

والحديث عن الخلفاء الراشدين ، أو التعريف بهم وبمكانتهم ؛ أمرٌ مكرور ، لاحاجة للتفصيل الكثير فيه ، فقد بلغت شهرتهم الآفاق، وأصبحت معرفتهم من الدين ، ولا يتصور أن يجهلهم أحدٌ من المسلمين، لكن دواعي البحث ؛ تقتضي التعريف بهم والتعريج على طرف من سيرهم ، التي جعلت لهم هذه المكانة وهذه المنزلة في التشريع، حتى أصبح ربط الشيء بهم وفعلهم له ؛ دين يلزم الأخذ به، وتأصيل لكلّ مايُفعله المسلمون بعدهم ، وكما قال ﷺ في حديث العرباض بن سارية ﷺ : ((فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين ، عضّوا عليها بالنّواجذ ، وإيّاكم والأمور المحدثات ؛

---

(١) والخلفاء الراشدون هو مصطلح يشير إلى للخلفاء الأربعة الأوائل الذين تعاقبوا على أمارة المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بما عُرف بالخلافة الراشدة، التي دامت ٣٠ عاما وهي الحقبة التاريخية من عمر هذه الأمة ؛ والتي ما رأى التاريخ أجمل منها ولا أكثر عدلاً ورخاءاً بعد حُكم النبيّ ﷺ فأنفاسه القريبة منهم زمانا ومكانا كانت حاضرة في خلافتهم .

فإنّ كلّ بدعة ضلالة))[٢] وهم من زكاهم الله فقال: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[١]

وهؤلاء الخلفاء الأربعة الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم هم سادة الصحابة وخلفاء الأمة ؛ وأهل الصدارة والريادة فيهم ؛ الأربعة الأوائل من قائمة (العشرة المبشرون بالجنة)[٢] والأربعة السابقون في الفضل والمكانة والتزكية والحكم ، وتقديم الله لهم وتقديم النبي ﷺ لهم وتقديم الأمة لهم (أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم)[٣] فقد شرفهم الله تعالى بخلافة النبي ﷺ وتحمل الأمانة من بعده وقيادة الأمة فكان هؤلاء الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أمراء المؤمنين وورثة خير المرسلين وكانت مدة خلافتهم الأربعة ثلاثون عاما حافلة بالخير والعطاء والثبات والتمكين

---

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب العلم برقم (٢٦٧٨) ، وقال: حديث حسن ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الرّاشدين المهديّين برقم (٤٢) (١٥/١) ، وصححه الألباني ، انظر صحيح ابن ماجه برقم (٤٠) (٣١/١) وإرواء الغليل ، للألباني برقم (٢٤٥٥) ، (١٠٧/٨)

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠)

(٢) المبشرون بالجنة من الصحابة كثيرون من الرجال والنساء ، فقد بُشّر بالجنّة بلال وخديجة بنت خويلد وعبد الله بن سلام وعكاشة بن محصن رضي الله عنهم وغيرهم ، ولكن العشرة المبشرين ذكروا في وقت واحد وفي حديث واحد, فعن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أبو بكر في الجنة, وعمر في الجنة, وعثمان في الجنة, وعلي في الجنة, وطلحة في الجنة, والزبير في الجنة, وعبد الرحمن بن عوف في الجنة, وسعد بن أبي وقاص في الجنة, وسعيد بن زيد في الجنة, وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة .رواه الترمذي وصححه الألباني. وفي رواية عن أبي داود وغيره عن سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ :عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ, قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ, قَالَ :فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ .صححه الألباني

(١) وسنذكر نبذة مختصرة عنهم ومكانتهم وطرفا من سيرتهم العطرة في المبحث القادم .

والخلفاء الراشدون هم الصحابة الكرام الذين انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو عنهُم راضٍ ، والذين تولوا الحكم بعد النبي ﷺ الصديق أبي بكر رضي الله عنه والفاروق عمر رضي الله عنه ، وذي النورين عثمان رضي الله عنه ، وأبو السبطين علي رضي الله عنه وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، ولقبوا بالراشدين لما امتازت فترة حكمهم من حكم رشيد حيث قاموا خير قيام بخلافة المصطفى صلى الله عليه وسلم على أمته ، فنشروا الدين ، وثبتوا المسلمين أمام كل العقبات والمنعطفات والفتن ، وكانت ولايتهم رحمة وعدلاً، وكانوا رضي الله عنهم وأرضاهم الأكثر ورَعَاً وتقوى والأكثر حبّاً لله ورسوله وللمسلمين، وهي الحقبة التاريخية من عمر هذه الأمة ؛ والتي ما رأى التاريخ أجمل منها ولا أكثر عدلاً ورخاءاً بعد حُكم النبيّ ﷺ .

والخلفاء الراشدون ؛ هم أفضل أصحاب النبي ﷺ [١] وهم المقصودون بوصية الرسول ﷺ الواضحة في اتباع نهجهم ، وتأكيد مكانتهم ، ورشاد طريقتهم ، كما قال ﷺ في الحديث: ((فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين ، عضّوا عليها بالنّواجذ ، وإيّاكم والأمور المحدثات ؛ فإنّ كلّ بدعة ضلالة))[٢] ، وسبب أنّ الرسول ﷺ : (بالغ في الأمر بها حتى أمر بأنّ يُعض عليها بالنواجذ ؛ وهذا يتناول ما أفتى به جميعهم ، أو أكثرهم ، أو بعضهم ؛ لأنّه علّق ذلك بما سَنَّه الخلفاء الراشدون ، ومعلوم أنّهم لم

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وأما الخلفاء الراشدون والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان، والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلّغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله. وكل مؤمن آمن بالله، فللصحابة رضي الله عنهم الفضل إلى يوم القيامة، وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدنيا والدين من سائر الصحابة، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبية وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) انظر كتابه : مجموع الفتاوى (٢٣/٩)

(٢) سبق تخريجه ص (٢٣)

يسنُّوا ذلك وهم خلفاء في آن واحد ؛ فعلم أنَّ ما سنَّهُ كل واحد منهم في وقته فهو من سنّة الخلفاء الراشدين)[٣]

ولذلك كان هديهم تابعا لهدي النبي ﷺ ، وكانت فترتهم فترة راشدة زكّاها ﷺ وحكى أهل العلم الإجماع على أنّهم المقصودون بهذا الحديث[٤] والمراد بمكانتهم في التشريع هو : كلّ ما قالوا فيه بقول ،لم يسبق فيه شيء من كتاب أو سنة ؛ بناء على فهم من نص شرعي أو اجتهاد ، فكلّ ما سنَّوه ، ولم ينقل أنَّ أحداً من الصحابة خالفهم فيه ؛ فهو محلّ إجماع كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله : (ما كان من سنَّة الخلفاء الراشدين الذي سنُّوه للمسلمين، ولم ينقل أنَّ أحداً من الصحابة خالفهم فيه ؛ فهذا لا ريب أنّه حجّة ؛ بل إجماع وقد دلَّ عليه قوله ﷺ: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) ...)[٥]

والخلفاء الأربعة الراشدون كانوا لحمة واحدة ، وفترة زمنية مباركة[١] ، ولقد نصّ على فضلهم ، ومنزلتهم في التشريع أهل العلم في كتب العقائد وغيرها ، حيث جاء في العقيدة الطحاوية : (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب ﷺ ثم لعثمان ﷺ ثم لعليّ بن أبي طالب ﷺ وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون)[٢] ، قال شارحها ابن أبي

---

(٣) إعلام الموقعين ، لابن القيم (١٧٦/٤)

(٤) انظر عارضة الأحوذي ، لأبي بكر ابن العربي (١٤٦/١٠) وجامع العلوم والحكم ، لابن رجب (١٢٢/٢)

(٥) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٥٧٣/٢٠)

(١) لأنّهم كانوا على قلب رجل واحد ، يكمّل بعضهم بعضا ، ويغرفون من معين واحد ، ويستضيئون بمشكاة مشترمة موحدة ؛ هي مشكاة النبوة ؛ ولذلك ؛ كانوا يتراجعون في الأمر ، ويتشاورون فيه ، فالصديق ﷺ إذا حزبه أمر جمع الصحابة والقرابة من المهاجرين والأنصار ؛ وفي مقدمتهم عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم ، وكذلك فعل الفاروق ﷺ فكان يجمع أهل بدر ، ويقول : لولا عليّ لهلك عمر ، ويوصي بالخلافة من بعده للستة الباقية من العشرة المبشرة بالجنة ، وفيهم عثمان وعليّ رضي الله عن الجميع وأرضاهم .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (٥٣٣/١)

العز الحنفي رحمه الله : (وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزيّة أن النبي أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين ، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر فقال : [اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر] وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين)[٣] ، ومن خلال هذا ؛ يتبيّن أنّهم يأتون بعد كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وامتدادا طبيعيا لهما ، وتطبيقا عمليا لمنهج الله تعالى ورسوله ﷺ (ولعلّ اعتبار سنتهم كسنة رسول الله ﷺ في الاتباع ، ألا تقتصر اسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ ، وإنما تشمل خلفاءه الراشدين من بعده ، وحتى لايتوهم متوهم أنّ إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقا صحيحا لاتكون إلا في زمن رسول الله ﷺ ، وتتوقف بوفاته ، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة)[٤] .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (٥٤٨/١)

(٤) المدخل إلى علم الدعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص (١٤٧)

المبحث الثالث : نبذة مختصرة عن الخلفاء الراشدين ومكانتهم :

(أ) أبو بكر الصديق رضي الله عنه[١] :

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي ، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في الجدّ السابع (مرة بن كعب) أكرمه الله فجمع له بين إسلام والديه وجميع أولاده ، ولد بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر .

وكان ﷺ أول من أسلم من الرجال[٢] ، وعلى رأس العشرة المبشرين بالجنة ، ولقّب بألقاب كثيرة دالة على فضله ومكانته ، تفرد بها ، فكان يلقب عتيقا ؛ لأنّه ليس في نسبه ما يعاب ، وقيل لقدمه وسبْقه في الإسلام ، وقيل لحسنه ، وقيل لأنّ النبي ﷺ بشّره بالعتق من النار ، وأجمعت الأمة على تلقيبه بالصديق[٣] ، ومما يدلّ على مكانته :

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ص (٢٧) ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ، والخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار ص (٣٤) ، دار القلم ، بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(٢) وقد اختلف أهل العلم في أول من أسلم ، على أقوال جمع الإمام ابن كثير بينها بقوله: (والجمع بين الأقوال: أنّ خديجة أول من أسلم من النساء ، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ، فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور وهؤلاء كانوا آنذاك أهل بيته ، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم ؛ إذ كان صدرًا معظمًا ، رئيسًا في قريش مكرمًا ، وصاحب مال وداعية إلى الإسلام) انظرالبداية والنهاية ، لابن كثير (٢٦/٣) ، دار الريان ، القاهرة ١٩٨٨م

(٣) نقل السيوطي الإجماع عن مصعب بن الزبير رضي الله عنه بقوله : (وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنّه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق ، فلم تقع منه هنأة ما ، ولاوقفة في حال من الأحوال ، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٧)

١- علمه بأنساب الناس وكونه المرجع في ذلك ونسابة قريش الذي له المكانة المعروفة عند الصغير والكبير في قضية أصيلة في حياة العربي ، فهو أعلم قريش بأنسابها .

٢- تجارته ومكانته الاجتماعية وعلاقاته ؛ حيث كان من تجار قريش المعدودين وكان الناس يأتونه ويألفونه ، ويحبون مجالسته ويقبلون عليه ، حتى أحبوه وأقبلوا عليه .

٣- حفظ الله له ، وعدم تعاطيه لما يضرّ أخلاقه ، وجسده ؛ فإنّه لم يشرب الخمر في الجاهلية ، ولم يسجد لصنم ، ولقد عصمه الله تعالى من تعاطيها وحرّمها على نفسه .

أجمعت الأمة على أنّه أفضلها بعد رسول الله ﷺ [١] ، وشهد له النبي ﷺ بالسابقة في الإسلام والمكانة التي لا يتقدمه فيها أحد ، وقد بوّب الإمام البخاري بابا كاملا في كتاب فضائل الصحابة بعنوان : (باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ) وذكر فيه من شهادات النبي ﷺ له ؛ ما لم يحصل لأحد ، ومن ذلك قوله ﷺ: ((إنّ الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر: صدق وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي))[٢] قالها مرتين ، ومنها قوله ﷺ : ((لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر ، ولكن أخي وصاحبي))[٣] ومكانته وفضائله ليست كغيره فهو صاحب النبي ﷺ قبل البعثة وبعد البعثة وفي الغار وفي الهجرة وفي كل المواقع والمشاهد ؛ وهو الذي قدّمه على غيره ليخلفه في الصلاة ، واستمرت العلاقة حتى جاوره في قبره ، وما ظنك

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٤)

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ :((لو كنت متخذا خليلا)) برقم (٣٦٦١) (٢٢/٧)

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ :((لو كنت متخذا خليلا)) برقم (٣٦٥٦) (٢١/٧)

باثنين الله ثالثهما ، كما قال الله تعالى في ذلك : ﴿.. ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ .. ﴾[٤] وقد شهد له القاصي والداني بالفضل والمكانة ، ومما قاله عمر بن الخطاب ﷺ فيه يوم السقيفة والمبايعة : (أنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ)[٥] ، ولما سؤل علي بن أبي طالب ﷺ : ((أيّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر))[٦] وخطب ﷺ عنه خطبة عصماء ، وكان مما قاله فيها : (يا أيها الناس ، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين ، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، وإنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي عليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف فهذا أشجع الناس ، قال : ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش ، فهذا يحادَّه ، وهذا يتلتله ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله ؛ أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال علي : فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه)[١] .

---

(٤) سورة التوبة الآية (٤٠)

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ :((لو كنت متخذا خليلا)) برقم (٣٦٦٨) (٢٤/٧)

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ :((لو كنت متخذا خليلا)) برقم (٣٦٧١) (٢٤/٧)

(١) انظر البداية والنهاية (٢٧١/٣)

ولقد حظي أبو بكر الصديق ﷺ بالأسبقية في أمور كثيرة ، ونال شرف خلافة رسول الله ﷺ على المسلمين ؛ فكان أول خليفة في تاريخ الإسلام ، وقد اجتمعت كلمة الأمة عليه ورضيته لأمور دنياها ، كما رضيّه الرسول ﷺ لأمور دينهم ، فعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : أوّل من صلى أبو بكر ﷺ[٢] ، ثم تمثل بأبيات قال فيها :

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس طرًّا صدق الرسلا

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وعاش حمدًا لأمر الله متبعًا ... بهدى صاحبه الماضي وما انتقلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا [٣]

(ب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن مرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في الجدّ السابع وهو (كعب بن لؤي) ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان يكنى بأبي حفص ، ويلقب بالفاروق ، لأنّه فرق بين الحق والباطل وأعلن إسلامه صراحة في الوقت الذي كان غيره يخفيه ، وكان من المعدودين الذين تعلموا القراءة والكتابة ، واهتم بحفظ الشعر

---

(٢) يقول يوسف بن يعقوب الماجشون : (أدركت أبي ومشيختنا : محمد بن المنكدر ، وربيعة بن عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وسعد بن إبراهيم ، وعثمان بن محمد الأخنس ، وهم لا يشكون أن أول القوم إسلاما أبو بكر الصديق) انظر صفة الصفوة ، لابن الجوزي (٢٣٧/١) ، ط٢ ، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

(٣) انظر ديوان حسان بن ثابت ﷺ (١٧/١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت بدون

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٥١٨/٢) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٤) ، ومناقب عمر ، لابن الجوزي ، والخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار ص (٨٢) .

وأيام العرب ، واشتغل بالتجارة ، وكانت له مكانته في قومه التي ورثها من جدّه نفيل بن عبدالعزى ؛ الذي كانت تحتكم إليه قريش في منازعاتها الداخلية والخارجية[٢] ، ولقد أسلم ﷺ في السنة السادسة من البعثة ، وكان عمره ست وعشرين سنة ، وكان المسلمون يومئذ تسعة وثلاثين فكمّلهم أربعين ﷺ وكان إسلامه نصرا يتطلع إليه النبي ﷺ ويبشر به ، وكما قال عبد الله بن مسعود ﷺ : (كان إسلام عمر فتحًا ، وهجرته نصرًا ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نُصلّي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي)[٣]

يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قال: (ما علمت أحدا هاجر إلا متخفيا إلا عمر بن الخطاب فإنّه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه ، وطاف البيت ثم صلّى ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام ، ثم أتى قريشا فقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمّه ، ويتيم ولده ، وترمّل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد)[٤] .

وهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر ﷺ ، وشهد له النبي ﷺ بالشهادات ؛ التي تفرّد بها عن غيره ، ومما ورد في الدلالة على مكانته وفضله قوله: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر))[١] وقوله ﷺ : ((إيهاً يا ابن الخطاب فو الذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك))[٢] ومن فضائله أنّه كان يوافق القرآن

---

(٢) وكان عمر بن الخطاب ﷺ من أشرف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافراً ومفاخراً ورضوا به) ، انظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر (٤٥٩/٢) دار الكتاب العربي، بيروت

(٣) فتح الباري ، لابن حجر (٤٨/٧)

(٤) تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ص (١١٥)

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ برقم (٣٦٨٩) (٥٢/٧)

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ برقم (٣٦٨٣) (٥١/٧)

، وكان منه يخاف الشيطان ، يقول ﷺ : ((وافقت ربي في ثلاث:في مقام إبـــراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر))[٣]

بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق ﷺ سنة ١٣هـــ ، وفي أيامـــه تم الفتوحات العظام ، يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى[٤] : (أنا كلما ازددت اطلاعاً على أخبار عمر ، زاد إكباري وإعجابي به ، ولقد قرأت سير آلاف العظمـــاء من المسلمين وغير المسلمين ، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره ، ومن هـــو عظـــيم ببيانه ، ومن هو عظيم بخلقه ، ومن هو عظيم بآثاره ، ووجدت عمر قد جمع العظمـــة من أطرافها ، فكان عظيم الفكر والخُلق والبيان ، فإذا أحصـــيت عظمـــاء الفقهـــاء والعلماء ، ألفيت عمر في الطليعة ، فلو لم يكن له إلا فقهه لكان بـــه عظيمـــاً ، وإن عددت الخطباء والبلغاء كان اسم عمر من أوائل الأسمـــاء ، وإن ذكـــرت عبـــاقرة المشرعين ، أو نوابغ القواد العسكريين ، أو كبار الإداريين الناجحين ، وجدت عمـــر إماماً في كل جماعة ، وعظيماً في كل طائفة ، وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً ، وتركوا في الأرض أثراً ، لم تكد تجد فيهم أجلّ من عمر ﷺ)[٥]

(ج) عثمان بن عفان رضي الله عنه[١] :

---

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ﷺ برقم (٢٣٩٩)

(٤) هو العالم والأديب علي بن مصطفى بن محمد الطنطاوي ، ولد في دمشق سنة (١٣٢٧هـــ) من أسرة علم ودين ، فأبوه وجده علماء معروفين ، وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب كاتب مشهور ، درس الشـــريعة والحقوق ، وتولى التدريس والقضاء في سوريا والعراق، وهاجر إلى المملكة واستقر بها ، ودرّس في جامعاتها المختلفة ، وتفرغ للبرامج التلفزيونية ، ونفع الله به من خلال برنامجه الأسبوعي (نور وهداية) وله كثير من المؤلفات والمشاركات، وتوفي بعد عمر طويل ناهز الخامس والتسعين ، يوم الجمعة ٣/٤/ ١٤٢٠هـــ ، انظر موقعه على الشبكة العالمية (الانترنت)

(٥) أخبار عمر بن الخطاب ، للطنطاوي ص (٥)

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٣٧٧/٤) ، والخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري ، د. يحيى بن إبراهيم اليحيى ، ط١ ، دار الهجرة السعودية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب , ويلتقي نسبه بنسب رسول الله ﷺ في عبد مناف ، وجدته لأمه هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ ، فهو ابن بنت عمة النبي ﷺ وقد أسلمت أمه وماتت في خلافته ودفنها بنفسه ، ولد ﷺ في مكة بعد عام الفيل بست سنين وكان ﷺ في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه ، وجيها ، ثريّا ، شديد الحياء محبوبا في قومه ، لم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ، ومما قاله: (ما تغنيت ، ولا تمنيت ، و لا مسست ذكري بيمني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا إسلام)[٢]

وكان ﷺ على علم بمعارف العرب في الجاهلية وأنسابهم وأخبارهم ، ساح في الأرض ورحل إلى الشام والحبشة ، وعاشر أقواما غير العرب واهتم بتجارته ، فلمّا أسلم كان ﷺ من السابقين إلى الإسلام ، وكان أول الناس إسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فهو رابع من أسلم من الرجال وقد أراد الله تعالى وهيأ له الظروف لحصول هذه السابقة ؛ عند عودته من إحدى رحلات الشام ، دخل عليه أبوبكر الصديق ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن ، فأسلم وتوجه للنبي ﷺ فقال له : (يا رسول الله ، قدمت حديثا من الشام ، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام فإذا منادٍ يناديا : أيها النيام هبوا ، فإنّ أحمد قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك)[٣] ، وقد لُقّب ﷺ بذي النورين ، قيل : لأنه تزوج بنتي الرسول ﷺ [٤] وقيل: لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة ، فالقرآن نور وقيام الليل نور[٥] .

---

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٣٧٧/٤)

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٥٥/٣) ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٣٧٧/٤)

(٥) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني (٢٠١/١٦)

ولقد بشّره ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه فعن أبي موسى ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، جاء رجل فاستفتح ، فقال النبي ﷺ: (افتح له، وبشره بالجنة) ففتحت له فإذا هو أبو بكر ﷺ فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ : (افتح له وبشره بالجنة) ففتحت له فإذا هو عمر ﷺ ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ، ثم استفتح رجل فقال لي: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فإذا هو عثمان ﷺ فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ، ثم قال : الله المستعان)[١]

ولقد قال فيه ﷺ : ((ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة))[٢] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى : (مقام عثمان مقام الحياء ، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره ، مع نقص يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى ، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين ، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن من أحب الله أحب أولياءه ، ومن خاف الله خاف منه كل شيء)[٣] ، وجاء الصحابة رضي الله عنهم بعد الرسول ﷺ ليشهدوا لأهل المكانة بمكانتهم فكانوا في زمن النبي ﷺ لا يعدلون بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان[٤] ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ برقم (٣٦٩٥) ، (٦٥/٧)

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ﷺ برقم (٢٤٠١)

(٣) انظر فيض القدير ، للمناوي (٣٠٢/٤) ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩١هـ

(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، لكن المسألة التي يضل المخالف فيها هي مسألة الخلافة ، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم علي ، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضلّ من حمار أهله) انظر مجموع الفتاوى (١٠١/٣)

(كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)[٥]

(د) علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١] :

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهو ابن عم الرسول ﷺ مباشرة ووالده شقيق والده ، وكان اسمه عند ولادته أسد ، وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد ؛ لم يعجبه الإسم وسماه عليًا ، كان يكنى بأبي الحسن ، نسبه إلى ابنه الأكبر الحسن ، كما يكنى بأبي الحسين ، وأبي السبطين ،كما كنّاه ﷺ بكنية كان يحبها وهي (أبو تراب) وأمه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى الهاشمية ؛ وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا ، وقد نالت شرف رعاية النبي ﷺ والقيام بدور الأم له ؛ وكانت من السابقات الأوليات للإسلام ، وكانت لها المكانة الخاصة عند النبي ﷺ يقول علي بن أبي طالب ﷺ : (لقد أُهدى إلى الرسول ﷺ حلة إستبرق فقال لي : (اجعلها خُمُرًا بين الفواطم) فشققتها أربعة أخمرة ، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وخمارًا لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها ، ولم يذكر الرابعة)[٢]

ولقد تواترت الأخبار أنّه ﷺ ولد في جوف الكعبة ، وولد قبل البعثة بعشر سنين كما رجّحه الإمام ابن حجر رحمه الله[٣] ، وقد أنعم الله عليه منذ نعومة أظافره

---

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ برقم (٣٦٩٨) ، (٦٥/٧)

(١) الطبقات الكبرى (١٩/٣)، صفة الصفوة (٣٠٨/١)، البداية والنهاية (٣٣٣/٧)، الإصابة (٥٠٧/١), الاستيعاب (١٠٨٩١), المنتظم (٦٦/٥), المعجم الكبير للطبراني (٥٠/١)

(٢) انظر فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل (٢/ ٦٨٥) ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، الدمام ١٤٢٠هـ

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٢٧/٨)

عندما أصبح في رعاية النبي ﷺ وولايته بعد أخذه من أبوه وهو نوع من تقدير الظروف وردّ الجميل[٤] .

وفي قصة إسلامه ؛ أنّه دخل على النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها ، فوجدهما يصليان ، فقال علي: ما هذا يا محمد ؟ فقال ﷺ : دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحد وإلى عبادته ، وتكفر باللات والعزى ، فقال له عليّ: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم ، فلست بقاض أمرًا حتى أحدّث أبا طالب ، فكره ﷺ أن يفشى عليه سره ؛ فقال له: يا على إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث عليّ تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلبه الإسلام ، فأصبح غاديًا إلى الرسول ﷺ فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد ؟ فقال: تشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد ، ففعل عليّ وأسلم ، ومكث عليّ يأتيه على خوف من أبي طالب ، وكتم إسلامه ولم يظهر به[١]

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : (كان النبي ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، ومعه علي مستخفيًا من أبيه ، يصليان ، فإذا أمسيا رجعا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال : يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي تدين به، قال: (أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم) أو كما قال ﷺ : (بعثني رسولا إلى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه وأعانني عليه) فقال : ياابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت،

---

(٤) وذلك أن قريشًا أصابتهم شدة ومجاعة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال ﷺ لعمّه العباس : (يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله ، آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا ، فنكفيهما عنه) ... فقال لهما أبوطالب : إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ النبي ﷺ عليًا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه) انظر السيرة النبوية ، لابن هشام (٢٤٦/١)

(١) انظر البداية والنهاية ، لابن كثير (٤/٣)

وقال لعلي : أي بنى ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته ، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه)[٢]

وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ هو زوج بنت النبي ﷺ فاطمة الزهراء ، وهو خادم الدعوة من أول يوم فيها ؛ بجمعه لبني عمومته ليوجه النبي ﷺ لهم الدعوة ، وموقفه الذي لاينسى في حماية الدعوة والداعية ؛ بمبيته ليلة الهجرة على فراش النبوة ، وكان آخر مانالاه من الشرف هو مؤاخاته للنبي ﷺ وتغسيله ؛ ليكون آخر من لامس الجسد الطاهر ، وهو من خصّه النبي ﷺ براية فتح خيبر دون غيره (وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا ، وسائر المشاهد غير تبوك ، قالوا : وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة)[٣] .

وكانت خلافته ﷺ عزا ونصرا وتثبيتا للدين وأهله في وقت كشّرت الفتن عن أنيابها وتسلل الخصوم من كل فج عميق فلم يكن يصلح ولا يقدر على الخلافة إلا مثله ، يقول أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : (فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى في قدره ما مضى ؛ علم أن الحقّ لا يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه ، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا ، فانعقدت له البيعة ، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي ﷺ لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضًا عليه فانقاد إليه)[١]

فعليٌّ بن أبي طالب ﷺ هو خاتمة المسك للخلفاء الراشدين الأربعة ، والأئمة المهديين رضي الله عنهم وأرضاهم ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : (أجمعوا على

---

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام (٢٤٦/١)

(٣)) انظر تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي (٢٤٥/١)

(٢) انظر العواصم من القواصم ، للقاضي أبي بكر بن العربي ص (١٤٢) ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠٧هـ

تقديم أبي بكر ، ثم نص أبو بكر على عمر ، ثم أجمعوا بعده على عثمان ، ثم على عليّ رضي الله عنهم ، وليس يظنّ منهم الخيانة في دين الله لغرض من الأغراض ، وكـــان إجماعهم من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل ، ومن هنا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل)[٢] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ آخر الخلفاء الراشدين المهديين ، واتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ)[٣] .

(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤٠٦/٣)

(٦) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤٠٦/٣)

فهرس المصادر والمراجع :

بعد القرآن الكريم ، مرتبة على حروف الهجاء ، على النحو التالـــــــــي :

١- أخبار عمر بن الخطاب ، لعلي الطنطاوي

٢- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر

٣- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر

٤- الاعتصام ، للشاطبي

٥- إعلام الموقعين ، لابن القيم

٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن القيم

٧- اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية

٨- البداية والنهاية لابن كثير

٩- بيان فضل علم السلف على علم للخلف ، لابن رجب الحنبلي

١٠- تاج العروس ، للفيروزآبادي

١١- تاريخ التشريع الإسلامي والفقه ، د.مناع القطان

١٢- تاريخ الخلفاء ، للسيوطي

١٣- تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ، للحافظ العلائي

١٤- تذكرة الحفاظ ، للذهبي

١٥- التعريفات للجرجاني

١٦- تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي

١٧- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري ، د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

١٨- الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار

١٩- ديوان حسان بن ثابت ﷺ

٢٠- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم

٢١- السنة ، لعبدالله بن أحمد بن حنبل

٢٢- السيرة النبوية ، لابن هشام

٢٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي

٢٤- شرح السفاريني للدرة المضيئة

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي

٢٦- صفة الصفوة ، لابن الجوزي
٢٧- الطبقات الكبرى ، لابن سعد
٢٨- عارضة الأحوذي ، لأبي بكر ابن العربي
٢٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني
٣٠- العواصم من القواصم ، للقاضي أبي بكر بن العربي
٣١- فتح الباري ، لابن حجر
٣٢- فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل
٣٣- فيض القدير ، للمناوي
٣٤- الكبائر ؛ للذهبي
٣٥- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي
٣٦- لسان العرب لابن منظور
٣٧- مجموع الفتاوى ، لابن تيمية
٣٨- المدخل إلى علم الدعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني
٣٩- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون
٤٠- معرفة علوم الحديث للحاكم ؛ للنيسابوري
٤١- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي
٤٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ؛ للقرطبي
٤٣- مقاصد الشريعة الإسلامية د. محمد سعد اليوبي
٤٤- مقدمة ابن الصلاح ، لابن الصلاح
٤٥- مناقب عمر ، لابن الجوزي
٤٦- منهاج السنة ، لابن تيمية
٤٧- الموافقات ، للشاطبي
٤٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي